

أثر التحول الصناعي على الصحة النفسية للعامل داخل المصانع

حمز اوي سهى

مومي دليلة

الملخص:

إن مشاكل وتعقيدات التحول إلى المجتمع الصناعي، وسوء العلاقات الاجتماعية فيه تخلق تغيرا في اتجاهات العاملين نحو العمل، وتحدث لديهم حاجات نفسية كثيرة، ورغبات إن لم يتم إشباعها استحال كفاءتهم الإنتاجية. وانتشرت بينهم اضطرابات الشخصية، التي تؤدي إلى اضطرابات العمل، ونشوء المشاكل العمالية والاجتماعية.

هذه المشاكل والاضطرابات النفسية تفرض على إدارة المنشآت الصناعية تهيئة الظروف المادية والنفسية والاجتماعية للعمال، ووضع البرامج الخاصة بصحتهم النفسية لتحقيق الكفاية الإنتاجية في هذه المنشآت.

إن العوامل الاقتصادية والتكنولوجية في المجتمع الصناعي تسهم في اضطراب الشخصية، فظروف العمل السيئة؛ تعيق النمو السوي للشخصية، لأنها تحمل التقليل من قيمة الذات، وتشعر الفرد بالإحباط الشديد، ولا تعطيه إلا وقتا ضيقا للترويح عن النفس. كما أن سوء العلاقات التي يتصف بها المجتمع الصناعي؛ ينعكس على العامل، وعلى عمله، وإنتاجه، وعلى صحته النفسية والجسمية.

مما سبق نصل إلى تحديد إشكالية واضحة المعالم، من خلال طرح التساؤل

الرئيس الأتي:

ماهي أهم آثار وانعكاسات التحول الصناعي و التكنولوجي على الصحة النفسية للعامل داخل المصنع؟

إن الإجابة عن التساؤل السابق؛ تقتضي منا الوقوف على الكشف عن معاناة العامل داخل المصنع نتيجة التكنولوجيا الحديثة الموجودة في الميدان، من خلال إجراء

دراسة ميدانية بأحد المؤسسات الصناعية الكبرى CPG بمدينة قسنطينة. حيث سيتم معالجة العناصر الآتية:

- **المحور الأول:** تحديد الإشكالية- أهداف الدراسة- فرضيات الدراسة- المنهج- عينة الدراسة- أدوات جمع البيانات.
- **المحور الثاني:** الصحة النفسية للعامل - أهم الأمراض النفسية داخل المصنع- الصحة النفسية والكفاية الإنتاجية- أثر الأمراض النفسية على التزام العامل- اغتراب العامل- فقدان القيم وإصابات العمل.
- **المحور الثالث:** مناقشة نتائج الدراسة.

مقدمة:

تنتم الحضارة الصناعية المعاصرة، وما يصاحبها من تقدم تكنولوجي ملحوظ بسمات مميزة عملت على زعزعة الأمن والاستقرار النفسي في نفوس الناس بصفة عامة، والعمال بوجه خاص، كما تعد سببا هاما في إحباط الحاجات الأساسية للعامل وخلق شخصيته، وتشجيع الاضطرابات النفسية على اختلاف أنواعها في الوسط الصناعي.

فالانقلاب الصناعي الضخم، وما ترتب عنه من زيادة في تقسيم العمل، وتخصص العمال، وحشد المصانع بالعمال والآلات، كل ذلك أحاط ميدان العمل، والعمال بمشكلات وأزمات شتى فنية، ونفسية، واجتماعية، مما يستدعي دراستها، وفهمها لمحاولة التقليل من أثارها.

إن العوامل الاقتصادية والتكنولوجية في المجتمع الصناعي تسهم بدرجة كبيرة في اضطراب الشخصية، فظروف العمل السيئة؛ تعيق النمو السوي للشخصية، لأنها تحمل التقليل من قيمة الذات، وتشعر الفرد بالإحباط الشديد، ولا تعطيه إلا وقتا ضيقا للترويح عن النفس. كما أن سوء العلاقات التي يتصف بها المجتمع الصناعي؛ ينعكس على العامل، وعلى عمله، وإنتاجه، وعلى صحته النفسية والجسمية. فقد أصبح العامل نتيجة التحول الصناعي غير واعيا بقيمة الدور الذي يؤديه في المصنع، وباشتراكه في الإنتاج النهائي، مما ولد لديه السأم وعدم الرضا، فعامل اليوم لا يرى في العادة مجهوده والهدف العام لعمله كما كان الصانع الحرفي بالأمس. فلم يعد يشعر بحافز في إنتاجه، ولا بتلك اللذة التي يشعر بها كل من عمل عملا وأتمه.

مما سبق نستنتج أن الحضارة الصناعية الحديثة ألقت على العامل أعباء نفسية كثيرة تهدده تهديدا مباشرا في صحته النفسية، لذا دعت الضرورة إلى العناية بالصحة النفسية للعاملين عن طريق الوقاية، وعن طريق الإرشاد النفسي، أو العلاج النفسي. وللوقوف على الكشف عن معاناة العامل داخل المصنع نتيجة التكنولوجيا الحديثة الموجودة في الميدان، أو بالأحرى التحول الصناعي، قمنا بإجراء دراسة ميدانية بأحد المؤسسات الصناعية الكبرى (مؤسسة المجارف والرافعات (CPG) بمدينة قسنطينة للإجابة عن مجموعة من التساؤلات بهدف الكشف عن الآثار الذي يتركها التحول الصناعي على الصحة النفسية للعامل،

وقد ارتأينا إلى تقسيم هذه المداخلة إلى ثلاثة أجزاء رئيسية، تتضمن العناصر الآتية:

أولا- الإطار المنهجي:

ويتضمن تحديد مشكلة الدراسة، فرضياتها، الأهداف، منهج الدراسة، أسلوب اختيار العينة، و أدوات جمع البيانات.

ثانيا- الإطار النظري:

- 1- مفهوم الصحة النفسية للعامل.
 - 2- أهم الأمراض النفسية الناتجة عن التحول الصناعي.(التعب النفسي والصناعي، الملل، بعض الأمراض السيكوسوماتية، الاغتراب وغيرها)
 - 3- الصحة النفسية والكفاية الإنتاجية.
 - 4- أثر الأمراض النفسية على التزام العامل.
 - 5- فقدان القيم وإصابات العمل (حوادث العمل المترتبة عن إهمال القيم الثقافية عند التحول الصناعي والتكنولوجي)
- ثالثا- مناقشة نتائج الدراسة.

أولاً- الإطار المنهجي:**1- تحديد مشكلة الدراسة وفرضياتها:**

يشهد عالمنا المعاصر قي بداية الألفية الثالثة تحولات سريعة، جعلت من التكنولوجيا الحديثة إحدى الدعائم الأساسية، والمنهجية لمواكبة هذه التحولات. وقد دفع هذا التقدم الهائل بالدول إلى المبادرة، واستخدام مختلف الأساليب؛ بهدف مواكبة عصر الانفجار المعرفي، الذي يميزه اهتمام الدول بالتكنولوجيا، والتصنيع كبعدين رئيسيين في عملية التنمية الاقتصادية، والاجتماعية، وكعناصر هامة يقوم عليها التنظيم الصناعي لتحقيق إنتاجية أوفر وأجود. إلا أن هذا التحول الصناعي السريع المرتبط بالعلومة قد أفرز مجموعة من الآثار النفسية، والاجتماعية التي ألحقت الضرر بالعامل داخل المصنع. وخاصة تلك الفئة من العمال التي كانت تعيش في بيئة زراعية تتميز بعلاقات اجتماعية وشخصية وطيدة، وقيم واتجاهات سلوكية ثابتة، عكس حياة أهل المدن حيث توجد أغلب المصانع، وتسود العلاقات غير الشخصية والمتغيرة بصورة دائمة.

كما تصاحب المجتمع الصناعي المتحضر الكثير من الأمراض النفسية والظواهر الاجتماعية السوية، وغير السوية. فالعوامل الاقتصادية والتكنولوجية في هذا المجتمع الصناعي الحديث تسهم في اضطراب الشخصية نتيجة انعدام المعرفة والعلاقة الشخصية، مما تفسر ارتفاع نسبي التغير، والقلق، وانخفاض مستوى الأداء. كما أن ظروف العمل السيئة تعيق النمو السوي للشخصية لأنها تعمل على الإقلال من قيمة الذات، وتشعر الفرد بالإحباط الشديد، ولا تعطيه إلا وقتاً ضيقاً للترويح عن النفس.

ولا شك أن هذا التحول التكنولوجي ينعكس على العامل وعلى عمله وإنتاجه وعلى صحته النفسية والجسمية ومن هنا ظهرت أهمية العناية النفسية بالعامل حتى يتمكن من أداء مهامه الصناعية على أكمل وجه.

بناء على ما سبق، سنحاول من خلال هذه الدراسة؛ الكشف عن أهم الآثار التي يتركها التحول الصناعي السريع على الصحة النفسية للعامل داخل المصنع. ومن أجل الوقوف على أهم هذه الآثار ارتأينا إلى مناقشة جملة من المؤشرات تتمثل في العلاقات الاجتماعية، تدريب العامل وتأهيله، تناسب منصب العمل مع مؤهلات العامل، الأمراض النفسية والإنتاجية.

وبما أن الدراسة العلمية تتطلب منهجية مضبوطة؛ تستدعي صياغة مجموعة من الفرضيات تبقى محل فحص، وتمحيص من خلال الأدلة، والشواهد المستقاة من الميدان، لهذا ارتأينا إلى صياغة الفرضية الرئيسية الآتية:

يؤثر التحول الصناعي والتكنولوجي السريع على الصحة النفسية للعامل داخل المصنع مما يستدعي اتخاذ مجموعة من التدابير والإجراءات للعناية بالعامل وضمان أمنه الصناعي.

إن اختبار الفرضية الرئيسية السابقة يستدعي منا صياغة جملة الفرضيات الفرعية الآتية:

الفرضية الفرعية الأولى:

إن التحول الصناعي يسلب العامل مهارته مما يخلق لديه نوع من الملل و القلق من منصب العمل الذي يشغله.

الفرضية الفرعية الثانية

كلما زادت درجة إصابة العامل بمرض نفسي كلما انخفض مستوى إنتاجيته والتزامه بالعمل.

الفرضية الفرعية الثالثة:

يؤدي التطور الصناعي إلى إصابات وحوادث عمل كثيرة في حالة نقص التدريب المهني.

الفرضية الفرعية الرابعة

كلما كان منصب العمل متوافقا مع إمكانيات العامل كلما قلت إصابته بالأمراض النفسية في العمل.

2- أهداف الدراسة:

إن مجال البحث العلمي، مجال واسع، تتعدد أهدافه ومعطياته، وأي باحث عند تبنيه بحثا معينا، فهو يهدف من وراءه، إلى إزالة الغموض الذي يحيط بالموضوع الذي يريد معالجته، وعليه فإن تناولنا لموضوع: أثر التحول الصناعي على الصحة النفسية للعامل داخل المصنع يسعى إلى تحقيق هدف رئيس ينطلق من أهمية الدراسة، ويرتبط بها، ويبرز في الوقت نفسه أهمية الوقوف على مختلف الأمراض النفسية التي يعاني منها العامل داخل المصنع نتيجة التحول الصناعي السريع.

وتتمثل أهداف الدراسة في ما يأتي:

- 1- التعريف ببعض الأمراض النفسية المتعلقة بالصناعة والتي تصيب العامل داخل المصنع.
- 2- توضيح أثر التقدم الصناعي الهائل على خلق العديد من الأمراض النفسية المهنية كالقلق والضيق والشعور بالتعب والإرهاق والهستيريا والاعتراب وغيرها.
- 3- تحليل مدى علاقة الصحة النفسية بالإنتاج والكفاية الإنتاجية.
- 4- الكشف عن العلاقة بين كل من التحول الصناعي وإصابات العمل.
- 5- اقتراح بعض الحلول للعناية أكثر بالصحة النفسية للعامل حتى يتمكن من أداء مهامه بصورة فعالة.

3- منهج الدراسة:

إن أية دراسة تخضع لمجموعة من المعايير والتقنيات العلمية، ومن المعروف أن أي أساس تبنى عليه أي دراسة علمية هو اختيار المنهج الذي تتم بموجبه المعالجة الميدانية للبحث على اعتبار أن المنهج هو: " الكيفية أو الطريقة التي يتبعها الباحث في دراسة المشكلة موضوع البحث، وهو يجيب على الكلمة الاستفهامية كيف؟ " (01) وفي ضوء هذه الدراسة بدا من الواضح استخدام المنهج الوصفي لما له من ارتباط بالموضوع في قدرته على كشف الحقائق المطلوبة، وتصنيف البيانات، وتحليلها تحليلًا دقيقًا وموضوعيًا، يهدف إلى الوقوف على أثر التحول الصناعي على الصحة النفسية للعامل. كما تم كذلك استخدام أسلوب تحليل مضمون المقابلات التي أجريت مع بعض العمال والمشرفين بالمؤسسة الصناعية مجال الدراسة.

4- عينة الدراسة:

تعتبر العينة من الوسائل الأساسية في الدراسات الميدانية، حيث تهدف إلى اختبار الفرضيات ميدانيا عن طريق أسلوب العينة. وقد تم اعتماد أسلوب العينة الغرضية (القصدية)، حيث تم اختيار مجموعة من العمال والمشرفين المباشرين للآلة بصورة قصدية حيث تم إجراء معهم مقابلا فردية وأخرى جماعية. وقد بلغ عدد العمال المختارين 24 عامل يتوزعون على مختلف الأصناف المهنية (عمال تحكم وعمال تنفيذ)

5- أدوات جمع البيانات:

لأجل فهم الظاهرة موضوع الدراسة وبناءها في سياقها الطبيعي تم الاعتماد على مجموعة من الأدوات لأجل الوقوف على جوانب الظاهرة والوصول إلى تحديد دقيق لمتغيرات الدراسة ونتائجها. ولا يتسنى لنا ذلك إلا من خلال الاختيار السليم لأدوات وتقنيات جمع البيانات، ومدى مصداقيتها للكشف عن الظاهرة محل الدراسة وفق ما تملبه دقة الأداة ومصداقيتها.

وبناء على هذا فقد تم الاعتماد على الأدوات والتقنيات الآتية:

5-1- الملاحظة :

إن استخدامنا للملاحظة يعد مطلباً فرضه التصور النظري في الكشف عن أهم الآثار التي يتركها التحول الصناعي على الصحة النفسية للعامل. الأمر الذي يقودنا إلى الفهم العميق لحديثيات الإشكالية من خلال تسجيل الملاحظات الآتية:

- 1- الملاحظة الدقيقة للمصالح التابعة للوحدات الإنتاجية، وملاحظة الأسلوب التنظيمي الجاري بكل ورشة في كل وحدة في المصنع.
- 2- ملاحظة طريقة العمل على الآلات، ومتابعة جزئية لبعض العمليات الإنتاجية، مثل: الخراطة، الفرازة، التركيب، وغيرها.
- 3- ملاحظة مجال عمل المهندسين والتقنيين، ومدى توافر الظروف الفيزيائية للعمل (الإضاءة، التهوية، النظافة، الأمن الصناعي).
- 4- ملاحظة طبيعة العلاقة بين العمال من جهة، وبين العمال والإدارة من جهة ثانية.

5-2- المقابلة :

تعد المقابلة من أهم الأدوات المنهجية المستعملة لجمع البيانات، وأكثرها استخداماً لمرونتها، فمن خلال المقابلة يمكن للباحث أن يناقش أي فكرة مع المبحوثين الذين يتعذر عليهم فهم الأسئلة جيداً.

كما تعرف على أنها " التبادل اللفظي الذي يتم وجها لوجه بين القائم بالمقابلة وبين شخص آخر أو أشخاص آخرون " (2)

بناء على ما سبق، تم إجراء سبع (07) مقابلات فردية، وجماعية، توزعت على مجموعة من العمال والمشرفين، وهي كالتالي:

- مقابلة رقم 01: عامل بورشة الصيانة.
 - مقابلة رقم 02: مهندس مسؤول بقسم التصنيع، خبرة في الميدان 12 سنة
 - مقابلة رقم 03: مشرف - قسم الإنتاج، خبرة 18 سنة،
 - مقابلة رقم 04 : مؤطر - قسم الصيانة-
 - مقابلة رقم 05 : عامل بورشة التحميم والخراطة.
 - مقابلة رقم 06: مجموعة من العمال- قسم التركيب-
 - مقابلة رقم 07 : عامل (مشرف) قسم مراقبة النوعية-
- وقد تم استخدام خلال هذه المقابلات، دليل مقابلة تضمن جملة من الأسئلة المفتوحة سمحت بإثراء الجانب الميداني من خلال أجوبة المبحوثين، وتحليلاتهم المختلفة لموضوع الدراسة.

ثانيا- الإطار النظري:

1- مفهوم الصحة النفسية للعامل:

الصحة النفسية في الواقع مسألة نسبية مثلها مثل الصحة الجسمية، حيث لا تعني أن هناك حدا فاصلا بينها وبين المرض النفسي. هذا الأخير الذي يتميز بصراعات نفسية داخلية تجعل الفرد غير متوافق مع نفسه، أو مع المجتمع، وتجعله يبدو على درجة ملحوظة من الاضطراب في حياته الانفعالية.

وتعرف الصحة النفسية على أنها " شعور الفرد بالرضا والاستقرار مع نفسه ومع الناس. وتظهر في شكل إحساس يترجم إلى سلوك من جانب الفرد بالقدرة على مواجهة المواقف، والمشكلات التي تقابله في مختلف نواحي حياته "

كما تعرف في موضع آخر على أنها " القدرة على توافق الفرد مع المواقف المختلفة، وكذلك قدرته على مواجهة مشاكله الشخصية دون توتر " (3)

وترمي الصحة النفسية إلى الشخصية المتكاملة أي الشخصية التي تتصف بمسايرة الظروف أي أنها تؤدي إلى التوافق الحكيم بين الفرد، وبيئته.

وبإسقاط التعاريف السابقة على العامل، نصل إلى أن الصحة النفسية لهذا العامل تعني: الشعور بالراحة النفسية والطمأنينة والسكينة الذي ينتابه في تعاملاته مع الغير، وقدرته على العمل الصناعي بثقة وبفعالية، والإقبال على الحياة بكل حيوية، وهذا لا يعني خلو هذا العامل تماما من الأمراض، والأزمات التي تسبب له الألم، ولكن نعني بذلك قدرة الفرد على مواجهة تحديات الحياة والتوافق معها.

2- أهم الأمراض النفسية الناتجة عن التحول الصناعي:

الأمراض النفسية هي اضطراب وظيفي في الشخصية يبدو في صورة أعراض نفسية وجسمية مختلفة أهمها القلق، التعب النفسي، الملل، الكآبة وغيرها. وقد تبدو أعراض هذه الأمراض في عجز عضو، أو تعطيل حاسة مما يستخدمه المريض في أداء عمله، كتشنج اليد، الصم احتباس الصوت، وغيرها من الأعراض.

2-1- التعب النفسي:

لقد بينت لنا الخبرة العامة أن الشخص بتكراره لأعمال معينة يتضايق في النهاية ويقل اهتمامه بها، وبعبارة أخرى تتناقض رغبته في الاستمرار في أداء تلك الأعمال، وقد يحس الشخص بالتعب، ويحس في الوقت نفسه برغبة بالقيام بأي شيء آخر وذلك من قبيل التغيير، وبذلك يمكننا أن ننظر للتعب في هذه الحالة على أنه إحساس بالضيق يصاحب الأداء المتصل لأي عمل من الأعمال في الغالب.

ويرى الباحثون أن حدوث الإحساس بالضيق والتعب يتناسب مع التغييرات الفسيولوجية في العضلات والعكس صحيح، فالتغيرات الفعلية في التكوين الفسيولوجي للعضلات تكون قد حدثت إلى الحد الذي يشعر فيه الشخص بالضجر، و التعب، فالشخص الذي يقوم بعمل روتيني غير مرغوب فيه، يعرف أن الإحساس بالضيق يسبق الإحساس بالتعب الفسيولوجي، الأمر الذي يؤدي إلى الإحساس النفسي بالضيق من الأعمال الرتيبة أكثر مما ينتج عن الأعمال المنوعة. كما ينتج عن الأعمال المفروضة أكثر مما ينتج عن الأعمال التي يقوم بها الشخص باختياره الحر.

2-2- التعب الصناعي:

تعد دراسة موضوع التعب في مجال الصناعة من الدراسات الهامة، وذلك لما تسببه من نقص في كفاية العمال، وبالتالي ضعف الإنتاج، وقلة الأرباح.

وقد عرف " فرنون Vernon " التعب الصناعي بأنه " مجموع نتائج النشاطات التي تظهر في تناقص القدرة على القيام بالعمل " (4)

ويؤدي التعب الصناعي إلى إنقاص الإنتاج، كما أن سرعة العمل على خط الإنتاج تصل أقصى معدلاتها في الجزء الأول من اليوم، ثم تهبط كلما تقدم يوم العمل. وهذه الطريقة تعني أن يقضي العمال وقتا كبيرا من يوم العمل في حالة تعب.

2-3- الملل الناتج عن التحول الصناعي:

الملل مرض نفسي ينشأ عن اضطراب الفرد إلى الاستمرار في عمل لا يميل إليه. فغالبا ما يشعر العامل الذي يؤدي عملا رتيبا بالملل نتيجة ما فرضه التحول الصناعي من تغييرات على مستوى المصنع.

إن الملل حالة نفسية معقدة تتوقف على عوامل خارجية أهمها نوع العمل والنشاط المهني، وما علينا إلا المقارنة بين الصانع الحرفي بالأمس وأغلب عمال المصانع اليوم.

لقد كان صانع الأحذية بالأمس يقوم بصنع الحذاء كله، كما كان اهتمامه بالحذاء يتجدد حتى يعود إلى صاحبه ليصلحه. فقد كان يزهر بما ينتج، إذ يرى فيه نتيجة مجهود بذله. أما اليوم فالعامل في مصنع الأحذية لا يقوم في العادة إلا بتكرار صنع جزء واحد من الحذاء، وليس لديه مالا يجعله يهتم بنتيجة إنتاجه ومصير مجهوده. (5)

2-4- القلق:

وهو الشعور بالهلع والخوف من شيء ما، وتوقع الشر والخطر في الظروف العادية، وهو من أهم الأمراض النفسية في الميدان الصناعي، نظرا لأن صاحبه يتميز دائما بالعجز عن العمل بكفاءة، كما أنه يتميز بالتركيز حول الذات فيعجز عن تكوين علاقات إنسانية سوية. كما أنه لا يتصف بالسرعة والحزم في اتخاذ القرارات، ويخلق أنماطا سلوكية جديدة. وفي الوقت نفسه يكون على درجة كبيرة من الحساسية الزائدة نتيجة لما يعانیه من توتر نفسي شديد، وعلى درجة كبيرة من النسيان لانشغاله باطنيا بمخاوفه و أوهامه.

2-5- الأمراض السيكوسوماتية والتحول الصناعي:

الأمراض السيكوسوماتية هي أمراض جسمية ترجع في المقام الأول إلى عوامل نفسية سببها مواقف انفعالية تثيرها ظروف اجتماعية، وهي أمراض تنفسي في الحضارات المعقدة ذات التحول الصناعي، والتكنولوجي الكبيرين أين يسود التنافس الشديد بين الناس، الظروف الاقتصادية القلقة، البطالة وغيرها من الظروف التي تستفز العامل وتثير في نفسه القلق مما يجعله يعبر عن مشاعره تعبيراً صريحا.

ومن بين هذه الأمراض ضغط الدم، وقرح المعدة والأمعاء، والربو وطائفة من أمراض القلب وكثير من حالات الصداع النفسي.

وقد بينت العديد من الدراسات أن هذه الأمراض تنتشر في البلاد الآخذة بالتصنيع وتقل في المناطق الزراعية.
2-6- الشعور بالعظمة أو البارانونية:

يفقد المصاب بهذا المرض الاحتكاك بالواقع، والسيطرة على أفكاره التسلطية الخاطئة، وأهم أعراضه هي حالات الشعور بالاضطهاد والشك الشديد في كل شيء نتيجة الإحساس بالنقص.

وللشخصية البارانونية أثرها الكبير في الميدان الصناعي، فإن كان المريض بها رئيسا، فإن معاملته لمروءوسيه تضر بصحتهم النفسية، وتوافقهم مع أعمالهم، وبالتالي تضر بالإنتاج، وتزيد من نسبة الحوادث والغياب، وإن كان عاملا فيتصرف دوما بالعدوان ضد الإدارة والتمرد في بعض الأحيان.

2-7- اغتراب العامل ALINEATION:

فالاغتراب هو من المفاهيم المحورية في النظرية الماركسية ويشير إلى عملية معقدة ذات جوانب متعددة تشير إلى تحول إنتاج النشاط الإنساني والاجتماعي وتحول قدرات الإنسان وطبيعته إلى شيء مستقل عنه تتنفي سيطرته عليه. ويرجع ماركس الاغتراب إلى طبيعة النظام الرأسمالي والى التكنولوجيا الحديثة وما ينجم عنها من تقسيم للعمل والأتمتة ونظام خط الإنتاج، فالعامل المغتراب عند كارل ماركس هو الذي لا يحس بأي ارتباطات أو انتماء لما يؤديه من عمل، كما أنه لا يستخدم مهارته و ذكائه في وجود الآلة التي توفر له ذلك، وهكذا تنقيد حركات العامل و يفقد حريته مما يجعله يشعر بالاغتراب .

و يؤكد ماركس على الظواهر المسببة للاغتراب فيما يأتي:

- 1- أن العامل يتحول إلى أداة ولهذا ينفصل عن وسائل الإنتاج.
- 2- انه يفقد حريته بحيث يصبح عبدا لنتائج عمله.
- 3- إن النظام الرأسمالي يمثل قمة الاغتراب على اعتبار انه يصنع قوانينه الخاصة به و المستقلة عن أهداف العامل، وبهذا يصبح فاقدا لمعناه الحقيقي كمنتج حر و سيد لأدواته و إنتاجه. (6)

3- الصحة النفسية والكفاية الإنتاجية:

للصحة النفسية للعامل صلة وثيقة بكفايته الإنتاجية، وعلاقاته الاجتماعية في العمل، فهي ترتبط ارتباطا وثيقا بمثابرتة على عمله، وتحمسه له، واستقراره فيه،

وتعرضه للحوادث. فالإصابة ببعض الأمراض السابقة تجعل العامل يشعر بتعب، وإعياء لأقل مجهود يبذل، ولذلك فإنه يشعرون بالضيق، والتبرم وعدم الرغبة في أداء أي عمل، كما أنه يعاني من عدم القدرة على التركيز أو التفكير المتواصل لفترة من الزمن نتيجة الحساسية الزائدة للأصوات والضوضاء. ولهذا تعد الأمراض النفسية ذات خصوصية في الميدان الصناعي، لما لها من أثر على الكفاية الإنتاجية، مما يستدعي تكثيف برامج العلاقات الإنسانية لرفع الروح المعنوية للعمال.

4- أثر الأمراض النفسية على التزام العامل:

إن الأمراض النفسية مسؤولة عن نسبة كبيرة من غياب العمال وعن تراخيهم، وعدم كفايتهم الإنتاجية، وعن عجز بعضهم عن التركيز في العمل، وعن عدم التعاون مع رؤسائهم مما يسبب مشاكل عديدة في العمل الصناعي، ويرفع معدلات تكرار إصابات العمل، وشدتها، ويضر بالإنتاج.

وقد أكدت العديد من الدراسات التي أجريت على نسبة الغياب في المصانع الأمريكية أن ثلثي العمال الصناعيين تقريبا من الذين يتغيبون عن العمل يرجع غيابهم إلى أمراض نفسية في طبيعتها، وتقدر الإحصاءات مدى تأثير اضطرابات الشخصية على الاقتصاد الأمريكي بخسارة قدرها 175000 مليون دولار سنويا من الربح المتوقع، وذلك نتيجة الأمراض النفسية أو سوء التوافق " (7)

5- القيم وإصابات العمل:

إن الزحف الصناعي غير ثقافات المجتمعات التقليدية، وخلق نوعا من الصراع بين الثقافتين القديمة والجديدة يتوقف على مقدار تغلغل الصناعة في الثقافة القديمة، ولنتائج هذا الصراع أهمية خاصة بالنسبة للعمال، والمديرين أثناء عملية التصنيع.

وفي مجال حرية الفرد والمجتمع يمكن القول: بأن الكثير من التطورات التكنولوجية قد سلبت حرية الإنسان والمجتمع مثل حق الاختيار، إذ أن بعض البلاد النامية قد تعمل على إحداث تغيرات تكنولوجية متقدمة في مجال العمل أو الحياة الاجتماعية بصورة عامة، والنتيجة النهائية أن هذه التطورات التكنولوجية قد تؤدي إلى سلب حريات الإنسان وبذلك لا يصبح أمامه سوى ما يقدمه له هذا التطور التكنولوجي، كما أن التحول من مجتمع زراعي، إلى مجتمع صناعي فرض على العاملين تغييرا كبيرا في الكثير من عاداتهم وتقاليدهم، وهو تغيير يتسع مجاله من

تغيير في الملابس التي يلبسونها إلى تغيير في اتجاهاتهم نحو العمل الذي يقومون به. مما أدى إلى مجموعة من النتائج يمكن رصدها في ما يأتي:

النتائج المترتبة عن إهمال القيم الثقافية في نقل التكنولوجيا إلى المؤسسات الصناعية:

إن عدم الاهتمام بالقيم الثقافية لا يؤدي فقط إلى فشل نقل التكنولوجيا، وإنما قد يتسبب في كوارث خطيرة جدا على مستوى المؤسسات الصناعية تمس بالدرجة الأولى بصحة العامل النفسية والجسدية، أهمها ما حدث في بعض البلدان النامية، نتيجة عدم الاهتمام بهذه القيم.

• كارثة بوبال الهند 1948:

وقعت سنة 1948 في مصنع إنتاج المبيدات الحشرية بمدينة بوبال Bhopal بالهند التي أدت إلى قتل أكثر من 3800 فرد، وجرح أكثر من 200 ألف آخر. وقد بني هذا المصنع من قبل شركة أمريكية لإنتاج المبيدات الحشرية. وبعد تسرب الغازات السامة من المصنع وانفجاره، قامت جهات مختلفة بدراسات متعددة لفهم أسباب الكارثة؛ وقد تم التوصل إلى أنه من أهم الأسباب هي أن تصميم غرف المراقبة بطريقة ضعيفة، وافتقادها إلى أجهزة قياس دقيقة، أدى إلى القراءات الخاطئة، الأمر الذي ساهم في حدوث الكارثة. (مثلا يوم الحادث أعطى الجهاز قراءة مقدارها 0.2 بسي (Psi)، وفي الواقع، فإن القراءة كانت 20 بسي).⁽⁸⁾

• كارثة القمح المسمم العراق سنة 1971:

حدثت هذه الكارثة في العراق، في نهاية سنة 1971 (شهر نوفمبر)، حيث تم شحن حوالي 7300 طن من القمح المكسيكي، وحوالي 22000 طن من الشعير. وكانت هذه البذور معالجة بالمضاد الفطري (ميثيل الزئبق) لأنها كانت موجهة أصلا للزراعة، وبمجرد وصولها إلى العراق تم توزيعها على الفلاحين لبذرهما. ونظرا لكون البذور قادمة من المكسيك فإن التحذيرات من مخاطر سم ميثيل الزئبق كانت مكتوبة باللغة الإسبانية، وبدلا من زرعها فإن الفلاحين قاموا بطحنها لصناعة الخبز منها. لحسن الحظ فإن الحبوب لم توزع إلا على حوالي 0.5% من الفلاحين الذين كان من المفروض أن توزع عليهم الكمية المستوردة. ومع ذلك، فإن مشاكل صحية كثيرة تم تسجيلها أهمها إصابات المخ والشلل.

ثالثاً- مناقشة نتائج الدراسة:

بعد تحليل البيانات، ومناقشة فرضيات الدراسة، وكذا تحليل مضمون المقابلات يمكننا القول: أنه لكي تتحقق الإنتاجية في أي مصنع يجب أن يتمتع العاملون فيه بالصحة النفسية، والصحة الجسدية، لأن الصحة النفسية تخلق للفرد التوافق مع بيئة العمل، كما تجعله يحس إحساساً إيجابياً بالكفاية، والرضا، والروح المعنوية العالية، وهذا ما يزيد من التركيز على الإنتاج، وبأقل نسبة من حوادث العمل.

وقد حاولت هذه الدراسة المتواضعة الوقوع على عدد من الأمراض النفسية المهنية المرتبطة بالمجال الصناعي لذا فهي تعد مؤشراً جيداً لمعالجة العديد من المشاكل السلوكية الناجمة عن الصحة النفسية لدى العاملين في المؤسسات الصناعية. وتتلخص هذه النتائج في:

الفرضية الفرعية الأولى:

إن التحول الصناعي يسلب العامل مهارته مما يخلق لديه نوع من الملل والقلق من منصب العمل الذي يشغله.

بعد القيام بالدراسة الميدانية، وإجراء بعض المقابلات مع بعض العمال والمشرفين، ومحاولة منا للإجابة على الفرضية الفرعية السابقة تبين لنا أن التحول الصناعي والتكنولوجي أفرز نوعاً من الآثار التي انعكست سلباً على العامل مما أدى إلى ظهور بعض أعراض القلق، والتعب النفسي لدى العمال نتيجة تداولهم على المنصب نفسه لفترة طويلة، وهذا ما بينته النسبة المسجلة (76,62%) حول السؤال المتعلق بشعور العامل بالقلق من عمله نتيجة الروتين اليومي. وهذا ما أكدته لنا أحد المشرفين قائلاً:

" لقد قضيت فترة طويلة في هذا المنصب (لحام) تتجاوز 20 سنة دون

ترقية، أو محاولة لتغييره، لدرجة أنني لم أعد أتقن النظر جيداً، لهذا لست مرتاحاً أبداً فيه وأتمنى أن أغيره أو التوقف عن العمل أفضل"

لقد سلب التطور التكنولوجي الحديث العامل مهارته حيث حوله إلى مجرد حارس للآلة يراقبها، ويضبط مفاتيح تشغيلها، بعد أن كان يقوم بجميع مراحل العملية الإنتاجية في خط الإنتاج في المصنع ذو التكنولوجيا البسيطة، مما خلق لديه نوع من الإحساس بالاغتراب والنفور من العمل.

وفي مقابلة أخرى مع أحد العمال بهذا المركب اتضح لنا أن استخدام الآلات الحديثة في التصنيع أحسن بكثير من استخدام الآلات التقليدية، ولكن في الوقت نفسه يتطلب الأمر الاطلاع على هذه الآلات، ومعرفة أسرار تشغيلها، ومن ثم محاولة التكيف معها، وإلا كانت النتيجة عكسية فقد أقر لنا هذا العامل ذو الخبرة المعتبرة (28 سنة) موضحاً:

" لقد كنت في السابق أتقن العديد من المهارات والتقنيات لكن أدى استخدام الآلات الحديثة إلى الاعتماد عليها في العديد من المهام وظهور التخصص الشديد ، وبالتالي التخلي عن المهارات الشخصية التي بدأت تزول مع الوقت، مما أدى إلى عدم ارتياحي نفسياً، وشعوري بالملل في بعض الأحيان نتيجة تكرار العمل اليومي المتمثل في تشغيل الآلة ومراقبتها وصيانتها في بعض الأحيان.

لقد كان العامل في الماضي يستطيع أن يعبر عمله عن جانب من شخصيته، أما اليوم فقد أرغم تخصص الأعمال المطرد العامل على القيام بأعمال وحركات جزئية بسيطة لا تلبى رغبته في تحقيق مكانة اجتماعية معتبرة، ثم إن العامل الذي أتعب نفسه في كسب مهارة معينة يفاجأ باختراع جديد مما يجعله مضطراً إلى اكتساب مهارة جديدة لا يدري إن كان مهتماً لها أم لا. وفي هذا ما يثير قلقه ويهدد شعوره بقيمته، وكفايته الإنتاجية، وبالتالي إصابته بمرض نفسي كالإحباط مثلاً أو الملل.

الفرضية الفرعية الثانية:

كلما زادت درجة إصابة العامل بمرض نفسي كلما انخفض مستوى إنتاجيته والتزامه بالعمل.

لقد بينت الدراسات الميدانية، وتحليل مضمون المقابلات التي تم إجراؤها مع بعض العمال والمشرفين أن درجة إصابة العامل بمرض نفسي مهني ينعكس سلباً على مستوى إنتاجيته، لأن الصحة النفسية تحقق للفرد التوافق مع البيئة وتساعد على مواجهة الأزمات التي تصادفه في حياته، وتجعله يحس إحساساً إيجابياً بالسعادة والروح المعنوية العالية وهذا ما يضمن إمكانية التركيز على الإنتاج، وتحقيق الكفاية المنشودة.

وترتبط هذه الفرضية بالفرضية السابقة، حيث يؤدي الملل والتعب والنفور الذي يشعر بهم العامل إلى عدم تركيزه أو غيابه مما يؤدي إلى انخفاض وتيرة الإنتاج أو تأخره عن المواعيد المحددة للتسليم.

كما أن إصابة العامل بأمراض نفسية مختلفة مثل الأمراض المشار إليها سابقا من شأنها أن تعيق العامل عن أداء مهامه، حيث يكثر غيابه، وتخلفه عن مواعيد العمل مما يؤثر سلبا على السير الحسن للعملية الإنتاجية.

الفرضية الفرعية الثالثة:

يؤدي التطور الصناعي إلى إصابات وحوادث عمل كثيرة في حالة نقص

التدريب المهني

إن الاهتمام بالتكوين أصبح أمرا ضروريا لمواكبة آخر المستجدات على جميع المستويات، خاصة التكنولوجية منها التي تتميز بتحولاتها السريعة والمستمرة. لذا يجب على المؤسسة الصناعية أن تقوم بتنمية مواردها البشرية، والتركيز على مجال التدريب المهني خاصة عند إدخال الآلات ذات تكنولوجيا عالية. خاصة وأن التدريب المهني يهدف إلى تكوين اتجاهات نفسية سليمة لدى العمال أو تغيير ما لديهم من اتجاهات غير مرغوبة لرفع روحهم المعنوية. (09)

وقد اتضح من خلال آراء الباحثين أنه في حالة نقص التكوين والتدريب المهنيين من جهة، ونقص التربصات الميدانية من جهة ثانية تكثر حوادث العمل نتيجة جهل العامل بأسرار التكنولوجيا الحديثة مما يلحق الضرر النفسي والجسدي بالعامل.

وفي هذا السياق يوضح أحد التقنيين الساميين قائلا:

" إن عملية التحكم في التكنولوجيا والتكيف مع التحول الصناعي مسألة صعبة تتطلب بشكل كبير عنصر التكوين إلى جانب التدريب المهني حتى نقلل من حوادث العمل. أي أنه كلما كان العامل مكونا ومدربا مهنيا، كلما ساعده ذلك على التحكم أكثر في التكنولوجيا وبالتالي ضمان سلامته وأمنه الصناعي.

الفرضية الفرعية الرابعة:

كلما كان منصب العمل متناسبا مع إمكانات العامل كلما قلت إصابته

بالأمراض النفسية في العمل.

تعكس هذه الفرضية أهمية تناسب منصب العمل مع إمكانات العامل في التقليل من الإصابة بالأمراض النفسية، إذ يؤدي عدم التناسب إلى زيادة المشاكل

النفسية والصحية في العمل بسبب عدم الرضا، وغياب الرغبة والدافعية نحو العمل مما يؤثر بدوره على درجة الكفاءة وعلى مستوى الإنتاجية.

فإذا أخذنا مؤشر المستوى التعليمي، نجد أن العامل الذي يتوافق مستواه التعليمي مع ما يقوم به من مهام أحسن بكثير من العامل الذي يشغل منصبا ويقوم بمهام بعيدة عن اختصاصه. فالعامل الأول يستوعب بوضوح العمل الصناعي في الميدان، ويتحكم فيه بشكل جيد، كما أنه يساهم في تطوير منصبه، وتحسين طرق العمل بتوظيف قدراته، وخبرته في الميدان. ويتعبير آخر نقل الأمراض النفسية لديه كالتعب، والقلق والنفرة والكآبة، في حين يكثر لديه حب العمل، والمشاركة في اتخاذ القرارات.

وقد أجرينا مقابلة مع أحد العمال بورشة الصيانة. وقد أفادنا بما يأتي:

" لا أشعر على الإطلاق بارتياح في منصب عملي الذي لم أجد غيره، لأنه لا يتوافق مع تخصصي (الميكانيك)، وبالتالي لا أستطيع استغلال تكويني الخاص في النشاط التقني الذي أقوم به، وقد دفع بي الأمر إلى النفرة والقلق في أغلب الأحيان، بالإضافة إلى الإحباط وعدم الرغبة في الاستمرار في العمل."

خلاصة: (التوصيات)

بعد استخلاص النتائج السابقة ارتأينا إلى تقديم التوصيات الآتية:

- 1- تهيئة الظروف المادية والنفسية والاجتماعية للعمال ووضع برامج خاصة بالصحة النفسية في ميدان الصناعة بما يضمن الرضا، والطمأنينة، والراحة النفسية التي توصل إلى إنتاج أوفر، وعمل أكثر اتقانا، وحوادث أقل.
- 2- العمل على إشباع حاجات العمال، ورغباتهم النفسية حيث إن لم تشبع استحال كفايتهم الإنتاجية وانتشرت بينهم اضطرابات الشخصية التي تؤدي بدورها إلى اضطرابات العمل، وزيادة تكاليفه وظهور المشاكل الاجتماعية والعملية.
- 3- تأدية إدارة المؤسسات الصناعية مهامها في تحقيق للعامل حاجاته النفسية من خلال إمامها بأساليب القيادة الديمقراطية والحكم الرشيد.
- 4- تكثيف برامج العلاقات الإنسانية لرفع الروح المعنوية للعمال وتحسين حالة المرضى المصابين بأمراض نفسية.

الهوامش:

- (1)- عبد الباسط محمد الحسن . اصول البحث الاجتماعي . ط2. مكتبة وهبه. القاهرة. 1982.ص 134.
- (2)- المرجع السابق، ص 131.
- (3)- نادية بوشلاق: الصحة النفسية، مجلة العلوم الإنسانية، العدد:06، جامعة باتنة، الجزائر، 2002،ص175
- (4)- أشرف محمد عبد الغني: علم النفس الصناعي - أسسه وتطبيقاته- المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر، 2001. ص226.
- (5)- المرجع السابق، ص353.
- (6)- عبد المنعم عبد الحي: علم الاجتماع الصناعي، المكتب الجامعي الحديث، القاهرة، مصر، 1984، ص 95-96
- (7)- محمد جودت ناصر: الأمراض النفسية وأثرها على السلوك الوظيفي، مجلة العلوم الإنسانية، العدد: 10، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر 2006، ص 37.
- (8)- محمد مقداد: القيم الثقافية ودورها في نقل التكنولوجيا، أعمال المؤتمر الثقافي السابع حول الثقافة والقيم، أكتوبر 2001، المجمع الثقافي العربي، دار الجيل، بيروت، لبنان، 2002، ص 224.
- (9)- أشرف محمد عبد الغني، مرجع سابق، ص173.